

المثل السائر

(خَذَلْتَهُ قُوَّتُهُ وَقَد كَأَفْحَتْهُ ... فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ
وَالتَّجْدِيلَ) .

(سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ ... فَهَضَى يُهْرُوِلُّ أَمْسِرَ مِنْكَ
مَهُوَلًا) .

(وَأَمْرٌ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ ... وَكَقَاتْلِهِ الْأَسَدِ يَمُوتَ قَتِيلًا) .
(تَلَفُّ الذِّي اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ خُلَاةً ... وَعَظَّ الذِّي اتَّخَذَ الْفِرَارَ
خَلِيلًا) وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتتقيه العصبية أذكره وهو أن
معاني أبي الطيب أكثر عددا وأسد مقصدا ألا ترى أن البحري قد قصر مجموع قصيدته على وصف
شجاعة الممدوح في تشبيهه بالأسد مرة وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك وأما أبو
الطيب فإنه أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله .

(أَمُعَفَّرَ السَّلِيثَ الْهَزْبَ بِرِيسْوَطِهِ ... لِمَنْ أَدَّخَرْتَ الصَّارِمَ
الْمَصْقُولَا) ثم إنه تفنن في ذكر الأسد فوصف صورته وهيئته ووصف أحواله في انفراده في
جنسه وفي هيئة مشيه واختياله ووصف خلق نجله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة
وفضله عليه بالسخاء ثم إنه عطف بعد ذلك على ذكر الأنفة والحمية التي بعثت الأسد على قتل
نفسه بلقاء الممدوح وأخرج ذلك في أحسن مخرج وأبرزه في أشرف معنى وإذا تأمل العارف بهذه
الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر ما أشرت إليه والبحري وإن كان أفضل من
المتنبي في صوغ الألفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه في الغوص على المعاني ومما يدل
على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره في أبياته الرائية لعلمه أن بشرا قد ملك رقاب تلك
المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئا يقوله فيها ولفطانه أبي الطيب لم يقع فيما
وقع فيه البحري من الانسحاب على ذيل بشرلأنه قصر عنه تقصيرا كثيرا ولما كان الأمر كذلك
عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فيما أورد مبرزًا .

واعلم أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنان منهما
على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معانكتوارد البحري والمتنبي